

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْإِسْلَامِ وَالْعَالَمِ

obeikandi.com

في أمر الله الناس بالعلم والتعلم

أمر الله عز وجل المسلمين بالعلم والتعلم إلى أقصى ما يستطيعونه حيث قال : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) . وقال : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال : (الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان) ، وقال : (ن ، والقلم وما يسطرون) ، وقال : (اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) .

وكشوفات العلم الحديث من خير ما يوثق صلة العبد بربه ، ويجعله يقر بوحدانيته ، قال تعالى : (سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) ، وحديث إسرائ رسول الله ﷺ وعروجه إلى ما فوق سبع سموات يؤكد وجود الله ووحدانيته وقدرته .

والذين صعدوا إلى القمر ، لم يستطيعوا البقاء عنده ولا المكث عليه مدة أطول مما مكثوا ، لأن الذي خلق السموات والأرض وما بينها جعل لكل عالم ما يناسبه ، ونص في كتابه على أن الأرض لنا ، ونحن لها ، بحيث لا نستطيع الحياة على كوكب سواها قال تعالى :

(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

وقال سبحانه : (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) .

فدلت هذه الآية على أن الأرض لنا ونحن لها ، والسماء لغيرنا وليس لعالمنا .

وحادثة صعود الإنسان فوق القمر ، وعدم استطاعته البقاء فيه من أول الدلائل على صدق

ما جاء في كتاب الله تعالى ..

والله أعلم ...

في الحث على العلم

طالب الله بالعلم وحث عليه ، ومن توجيهات القرآن للرسول ﷺ فضلاً عن غيره أمره بأن يقول : (وقل رب زدني علماً) .

ولا يمكن المساواة بين العالم والجاهل في المنزلة أو المكانة : (قل هل يستوى الذين يعلمون

والذين لا يعلمون) .

ومن هنا كانت مسئولية العالم كبيرة ، إن خطأه ليس خطأ عادياً ، وإن مسئوليته جسيمة ، وإن العالم إذا زل بزلته عالم ، وقد صور الرسول ﷺ موقف العالم الذى يأمر الناس بالخير ولا يقوم بأدائه تصويراً معبراً فيما روى عن أسامة بن زيد رضى الله عنها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقطاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية .

ومن الآثار الواردة فيما يتصل بقارئ القرآن الذى لا يعمل بما قرأ بل يأتي ما لا يتناسب وهذه القراءة قول بعض السلف : « رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه » ، يقول : ألالعنة الله على الظالمين وهو ظالم لنفسه . . .

وفي الحديث الصحيح : « القرآن حجة لك أو عليك . . . » أى أن القرآن يشهد لك بالصلاح والتقوى إن امتثلت ما فيه وطبقت العمل على القراءة ، ويشهد عليك إذا تركت العمل بما فيه وانصرفت عن طريق الدين .

ومن هنا كان السلف الصالح يرون في القرآن : مرآة لأحوالهم وميزاناً لتصرفاتهم ، وكانوا يستحيون من القرآن أن يوجد في مكانهم ثم يخرجون عما ينبغى من جد في العمل واتزان في السلوك ، فعلى هذا العالم أن يتمسك بحدود الدين ، وأن يعمل بما في القرآن ، وإن خرج عن ذلك أو انحرف وجب تنبيهه .

في الدين والعلم

إن مسألة الصلة بين الدين والعلم ، انسجاماً واتفاقاً ، أو تعارضاً ونزاعاً - تثار من آن لآخر على صفحات الجرائد ، وفي ثنايا الكتب ، وبين المفكرين في أنديةهم .

ولقد كتب الغربيون كثيراً في هذا الصدد ، بل إنهم أول من كتب فيه ، ولكن هذه المسألة تجاوزت الغرب إلى الشرق ، وكتب مفكرو الشرق فيها ، واختلفوا فيما بينهم كما اختلف مفكرو الغرب .

وإن ما كتبه العلامة الفرنسي : « إميل بوترو » بهذا الصدد يعطينا صورة عن هذه المسألة في الغرب وفي الشرق الحديث ، إنه يقول في ترجمة المرحوم مصطفى عبد الرازق :

« إن أمر العلاقات بين الدين والعلم حين يراقب في ثنايا التاريخ ، يثير أشد العجب ، فإنه على

الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة ، وعلى الرغم من جهود أعظم المفكرين التي بذلوها ملحين في حل هذا المشكل حلا عقلياً ، لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ولم ينقطع بينهما صراع يريد به كل منهما أن يدمر صاحبه لأن يغلبه فحسب .

على أن هذين النظامين لا يزالان قائمين . ولم يكن مجدداً أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق ، وكأنما انعكست الآية منذ ذلك .
وأخذ العلم ينذر بفساد الأديان ، ولكن الأديان ظلت راسخة ، وشهد بما فيها من قوة الحياة وعنف الصراع .

ونريد في هذه الكلمة أن نتحدث عن العلاقة بين الإسلام بالذات والعلم ، واتخذنا الإسلام بالذات كمثال للدين :

١ - لأن كتابه المقدس حفظ بصورة هي من الدقة بحيث لا يتأتى فيها الشك ، فالقرآن المتلو الآن - كما يقول المستشرق الفرنسي الكبير الأستاذ (ديموبين) - هو القرآن الذي كان يتلوه محمد في القرن الأول الهجري .

وأن الباحث المنصف - كما يقول - لا يجد مناصاً من الإقرار بهذا .

٢ - ولأن حضارته المادية والثقافية والعقلية والروحية التي صدرت عنه ونتجت عن وجوده معروفة إلى حد كبير . .

وموقف الدين الإسلامي من العلم واضح كل الوضوح ، فأول كلمة في الدستور الإسلامي القرآن : (اقرأ) .

ثم إن الآيات القرآنية التي تحث على العلم وتبين فضل العلماء كثيرة .

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : (وقل رب زدني علماً) ويقول الله تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات) ويقول تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .
ومن طريف القراءات في هذه الآية قراءة لبعض العلماء منهم الإمام أبو حنيفة ترفع لفظ الجلالة وتنصب لفظ العلماء ، وتقول حاشية الصاوي على الجلالين : (والمعنى) إنما يعظم من العباد العلماء ، وإنما كان كذلك لكونهم أعرف الناس بربهم ، وأتقاهم له ، فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداءً بالله تعالى ، فإن الله تعالى أخير أنه يعظمهم ويحلهم .

أما الأحاديث النبوية فإنها هي الأخرى كثيرة ، من أجمعها الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي ، يقول صلوات الله عليه وسلامه :

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وأن الملائكة لتضع أجنحتها

لطالب العلم رضاء بما يصنع ، وأن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وأن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذته بحظ وافر .

وقد دفع هذا الاتجاه - في القرآن الكريم وفي الأحاديث - المسلمين إلى المباحث العلمية في جميع نواحي الحياة : روحية أو عقلية أو مادية ، ونشأت من ذلك : الحضارة الإسلامية التي أنتجت أمثال : جابر بن حيان في الكيمياء وابن الهيثم في الطبيعيات ، وأبي بكر الرازي في الطب ، وابن سينا في الطب كذلك والفلسفة ، والغزالي في الجانب الروحي ، وابن رشد في الفلسفة العقلية ، وابن خلدون في الاجتماع والتاريخ وكثيرين غيرهم .

وقد أشاد كثيرون من منصفى الغربيين بالحضارة الإسلامية وبمناهجها . يقول « غوستاف لوبون » ويعزى إلى بيكون : على العموم ، أنه أول من أقام بالتجربة والملاحظة اللتين هما أساس المناهج العلمية الحديثة . ولكنه يجب أن نعترف ، قبل كل شيء ، بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم .

ويقول العلامة الشهير « همبولد » بعد أن يذكر أن ما قام على التجربة والملاحظة هو أرفع درجة في العلوم : « إن العرب ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يحملها القدماء تقريباً » .

وإن مؤرخي الحضارة الغربية يعترفون بأن المبشر الأول بالعلم التجريبي إنما هو « روجر بيكون » ويعترفون بأن آراءه في العلوم أصدق وأوضح من آراء « فرنسيس بيكون » يقول الأستاذ « دوهرنج » : « إن آراء روجر بيكون في العلوم أصدق وأوضح من آراء سميح المشهور » . وهذا العلم التجريبي هو - دون جدال - الأساس الذي قامت عليه الحضارة الأوروبية والأكثرية العظمى من مؤرخي الحضارة الأوروبية يعزون هذا المنهج على الخصوص إلى روجر بيكون ، وفرنسيس بيكون ، ولكن عالماً من علماء الغرب الممتازين بعد أن درس دراسة عميقة بحث بحثاً مستفيضاً ، انتهى به الأمر إلى تقرير حقائق كان يجب على الشرقيين أن يعرفوها من زمن بعيد ، هذا العالم هو الأستاذ بريفولت ، إنه يقول في كتابه الذي ألفه تحت عنوان : بناء الإنسانية : « إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربي والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس ، وليس لروجر بيكون ولا لسميحه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه اللغة

العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة .

والمناقشات التي دارت حول واضعى المنهج التجريبي هي طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوربية ، وقد كان منهج العرب التجريبي في عصره يكون قد انتشر انتشاراً واسعاً وانكب الناس في لهف على تحصيله في ربوع أوروبا^(١) .

ويستفيض الأستاذ « بريفولت » في تصوير ما كان عليه العرب من العبقورية في العلم والحضارة ونجد طرفاً من ذلك في الكتاب الذى ألفه الدكتور محمد إقبال تحت عنوان : (تجديد الفكر في الإسلام) .

ويقول الدكتور إقبال ما نصه :

« ومن أين استقى روجر بيكون ما حصله في العلوم ؟ من الجامعات الإسلامية في الأندلس .
« والقسم الخاص من كتابه الذى خصصه للبحث في البصريات هو في حقيقة الأمر نسخة من كتاب المناظر لابن الهيثم . وكتاب بيكون في جملته ، شاهد ناطق على تأثره بابن حزم » .
هذه الحقائق التي قدمناها عن حضارة العرب : منهجاً وعلماً : أصبحت من الذبوع والشهرة لدى المتصفين ، بحيث لا نحتاج إلى التوسع في الاستدلال عليها .

ويتبين لنا مما سبق أن الإسلام :

- ١ - يحث على العلم ، ويشجعه ، ويدعو إليه ، ويأمر بالاستزادة منه .
- ٢ - وأن روح الإسلام هذه أنتجت حضارة مزدهرة عمت جميع أقطار الحضارة وجوانبها مادية كانت تلك الجوانب أو عقلية ، أو روحية .

إذا كان موقف الإسلام من العلم : هو ما بيننا ، فما هو موقف العلم من الإسلام ؟
إن موقف العلم من الإسلام - باعتبار الإسلام مثلاً صحيحاً للدين - إنما هو في حقيقة الأمر تصوير لموقف العلم من الدين الحقيقي .

وهذا الجانب من البحث هو من الوضوح بحيث ما كان ينبغي أن يكون فيه جدال ولا مناقشة ، ذلك أن العلم ومثليه الحقيقيين : يعرفون في صراحة لا لبس فيها ، وفي وضوح لا خفاء فيه بأن دائرة أبحاثهم إنما هي المادة ، إنما هي المحس ، وأنهم يعتمدون في ذلك على التجربة وعلى الملاحظة .

إنهم يعتمدون على الاستقراء على وجه العموم ، وليس الاستقراء إلا تتبع جزئيات محسة تتبعها بالملاحظة أو بإجراء التجارب عليها .

(١) من كتاب تجديد الفكر الديني في الإسلام ، ترجمة عباس عمود ص ١٤٩ .

والمنهج العلمى إذن ، إنما هو منهج لمعرفة كيفيات المادة ، وإذا ما خرج الأمر عن دائرة المادة فقد خرج عن دائرة العلم .

وعلى هذا الأساس : فليس للعلم مطلقاً دخل في أمور الدين : إثباتاً وإقراراً ، أو نفيّاً وإنكاراً ، وإذا ما قال قائل : إن العلم يثبت كذا من الأمور الروحية ، فإنه يكفيننا منه هذه الكلمات لنسحب ثقتنا به كعالم ، وإذا ما قال : إن العلم ينكر كذا من الأمور الروحية فإن هذه الكلمة تكفى أيضاً لسحب ثقتنا به كعالم ، إذ إن العلم في المجال الروحي لا يثبت ولا ينفي ، وهذا واضح مما سبق أن ذكرناه .

ومع ذلك فقد يتيح العلم بأبحاثه في ارتباط الكون وتنسيقه ، وإبداعه والتناغم الذى يسوده ، والدقائق الباهرة التى يبينها علم التشريح مثلا في التركيب الحيوانى .

قد يتيح العلم من كل ذلك لعلماء الدين مواد يبنون عليها تذكيرهم وعظاتهم ، ويباهم أن العالم لم يكن نتيجة المصادفة العمياء أو الاتفاق الأعمى ، ويبينون من نتائج العلم أن الآيات في مجال المادة نفسها تشهد أنها من صنع الله الذى أتقن كل شىء .

في معنى قول الله تعالى : (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . . .) الآية

معنى قوله تعالى : (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) إنما يفهم من سياق ما قبله من الآيات إن سورة الرحمن من السور التى تتوجه بالخطاب إلى الجن والإنس ، وتذكر مظاهر قدرة الله وعظمته وقهره لجميع خلقه ، والآية التى معنا تتوجه إلى الجن والإنس بالخطاب وتبين عجزهم وضعفهم أمام قدرة الخلاق العليم . فالجن والإنس محصورون في السموات والأرض ، وليس في استطاعتهم تجاوزهما أو النفوذ منهما ، وفي قوله تعالى : (إن استطعتم . . . فانفذوا) تهكم بهم وإظهار لمدى ما هم عليه من ضعف .

وفي التعبير (انفذوا) بيان لاحتياج الخروج إلى التغلب على موانع عديدة ، على الإنسان أو الجان أن يتخلص منها ليتحقق له النفاذ ، ولن يتأتى له ذلك .

فالآية تفيد أن الجن والإنس محصورون في مجال معين ، وفي نطاق خاص لا يمكنهم تجاوزه ، وهم مقهورون على ذلك . وعليهم الإقرار والاعتراف والإذعان لقدرة الله تعالى .

وقد بين الله سبحانه أن النفاذ من أقطار السموات والأرض يتأتى بالعلم يقول سبحانه :

(لا تنفذون إلا بسلطان) والسلطان في الآية الكريمة معناه العلم ، وعلى ذلك فإن كل ما نراه من غزو للفضاء ، ونزول على الكواكب لا يتعارض مع الوضع القرآني في كثير ولا قليل ، بل إن القرآن يحث عليه ويدعو الإنسان إلى الوصول في أجواء السماء إلى الحد الذي يستطيع ، وإلى الغوص في أعماق الأرض إلى الحد الذي يستطيع كذلك ، وذلك أن الله سبحانه يمن علينا بأن سخر الكون كله لنا ، ونص على تسخير الأرض والسماء وما بين الأرض والسماء .
وعلياً أن نستجيب إلى امتنانه سبحانه فنسخر ما سخر لنا ، فإذا سخرنا الكواكب لفائدة الإنسانية فإننا نكون مستجيبين للتوجيه الإلهي . .
والله أعلم . .

هل القناعة بالعلم النظري - في هذه الآونة - قد تحدث انفصاماً

بين الحياة والدين ؟

عرف الإسلام قيمة العلم ، وحث عليه ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وعظم العلماء العاملين المخلصين ، وقرنهم معه سبحانه ، ومع ملائكته المطهرين : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) .
ولم يفرق الإسلام بين علم نظري وعلم عملي ، بل دعا إلى كل ما فيه العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وما فيه خير البشرية ونفع الإنسانية .
وسخر الله كل ما في الكون للإنسان ، ودعا إلى التفكير والتدبير والتعقل وجولان النظر فيما خلق الله تعالى ، للعبرة واستنباط ما فيه الخير لنفع البشرية .
وكما عبر بالإنزال عن كتابه سبحانه لإقامة الحق والعدل بين الناس ، عبر عن الدعوة إلى الانتفاع بالحديد والمعادن وما في حكمها بالإنزال ، حتى يتذكر المسلمون بأن القوة مطلوبة ، وأن العزة مطلوبة ، وأن التكامل الاقتصادي أيضاً مطلوب ومرغوب ، يقول تعالى :
(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، إن الله قوي عزيز) .
والأزهر يدرّس - للتخصص - العلوم النظرية في بعض كلياته - ويزاوج بين العلوم العملية والنظرية في بعض كلياته الأخرى .
ولم يقل أحد أن القناعة بالعلوم النظرية مطلوبة في هذه الآونة ، بل لا بد من هذا وذاك . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

تحدث الإنجازات العلمية التي تطالعنا كل يوم تأثيرات متفاوتة على العقيدة الدينية ، فكيف نعزز حجتنا الدينية بقيمة علمية تتواءم وهذه الإنجازات ؟

الحضارة الحديثة والإنجازات العلمية المعاصرة تقوم على أساس من العلم ، وتمكن الإنسان من
تيسير أمور الحياة ومتعتها ومنافعها ، والإسلام يقدر العلم حق قدره (هل يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون) .

ويقول ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » لأن العالم قلما يجنح عن
الصواب في عبادته ، والإسلام لا يفرق بين علم وعلم ، مادام ينفع البشرية وخيرها . والإسلام
بذلك يقر الدعامة الأولى التي تقوم عليها الحضارة الحديثة ، والإنجازات العلمية الرائعة ، وليس
على الإنسان من شائبة في أن يتفجع ويستمتع بجمع الحياة الدنيا ومباهجها ما دامت في حل واعتدال
وإنسانية : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في
الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ؛ كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون) .

فأباح الإسلام التمتع بها ، بشرط ألا تتحول إلى سرف ، ومصدر هلاك وشقاء فتخرج عن
طبيعتها ، لأن التمتع بها موضع للاختبار والابتلاء أيضاً .

ويحذر الإسلام من أن تصبح هذه الإنجازات مصدر فتنة له ، وأن يجذع بها ، أو يهلك بها
نفسه أو غيره ، ويحذر من سيطرتها على الإنسان حتى يغطي بها فيضل وينسى نفسه ويغطي
بسيطرتها عليه ، أو يطمس معالم الجانب المشرق الروحي في الإنسان أو أنكاشه ، حتى تضيق
دائرته وتضمحل .

فالإسلام يدفع إلى التطور والحضارة ، ويقف موقفاً إيجابياً ، ولكنه يحذر من سلبياتها
وأخطارها .

وإذن : إذا قصد بالتقدم والاكتشافات السمو والتهديب الإنساني ، فالإسلام يدعو إليه ،
وإذا قصد به الانحلال والتسلط والاعتداء والطفيان فهو يرى منه ومن نزعته هذه .
ولنتدبر ملياً قوله تعالى :

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط ؛ وأنزلنا

الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس . وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب . إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ .

فالقرآن يسوى بين إنزال الله تعالى لأحكام العدل والهداية . وإنزال الحديد (بلفظ الإنزال) لتساند القوة المادية القوة المعنوية ، فتكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وليكون المسلمون أعزة وأقوياء ، وأصحاب متعة ، ويتصفوا بصفات الله كما في ختام الآية . .

في الإنجازات العلمية الحديثة

الإنجازات العلمية الحديثة تقوم على العلم ، والإسلام يقدر العلم والعلماء في مختلف القطاعات والفروع ، ويدفع الإسلام إلى الحضارة والتقدم والرفق خير الإنسانية ، ويحذر من الطغيان والاعتزاز ، والإضرار والضرر بها ، وحين يكون للمسلم قوة العلم والعمل تكون العزة والكرامة والتكامل والغنى ، يقول تعالى :

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) ويقول جل شأنه : (والله العزة لرسوله وللمؤمنين) .

في المعجزة والعلم

المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة تصديقاً له في دعواه ، ويلاحظ أن المعجزة - من اسمها - تعجز الغير عن الإتيان بمثليها - وأنها من الله القوى القادر القاهر ، وأنها ليست عادية ، لا تخضع للأسباب الظاهرة ولا العلمية ، ولا تكون إلا على يدى النبي من أنبياء الله ، فكيف يتأتى للعقل البشرى القاصر المحدود والمخلوق والذي يدور في فلك معلوم ومحدود ، كيف له أن يحكم على المعجزة بالإمكان وعدمه ؟ إن العاقل لا يعرف ماهيته ، وعليه أن يلزم حده ، ونحن نؤمن بالمعجزات ووقوعها لأنبياء الله تعالى ، والله على كل شيء قدير .

في الصوفية والعلم

الصوفية الصافية هي التي تلتزم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله قولاً وعملاً وإخلاصاً ، ويحيون في ظل الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده أساسه التوحيد الخالص ، ومراقبة الله في السر والعلن ، وتكوين الضمير القائم على خشية الله ، وحسن الصلة والخلق بين الناس ، وجعل الله تعالى قبلهم

في كل شيء ، وجعل الدنيا مزرعة الآخرة ، والمادة عندهم في أيديهم لخير الناس ونفعهم وليست في قلوبهم .

وإذا كانت المبادئ ، الوافدة والمستوردة قد أفسدت وضلت وأضلت ، وإذا كان الإلحاد قد استشرى ويقوم به أناس تربوا في حجر المستعمر وعلى موائده ، وليسوا مواطنين صالحين ، لأن ولاءهم لغيرهم ولغير الله والوطن ، فإن الحاجة ماسة إذن لوجود تيار إيماني ، يعمل بكتاب الله وسنته ، ويقاوم المادية الملحدة ، والله الموفق .

في حث الإسلام على العلم

الإسلام يحث على العلم ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وعرف قدر العلم والعلماء (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ؟ ولا يفرق بين علم نظري وعلم عملي ، بل يدعو إلى كل فروع العلم والمعرفة والعمل لخيري الدنيا والآخرة ، والله سبحانه قد سخر كل ما في الكون للإنسان ، ودعاه إلى التفكير والاستنباط والانتفاع .

والأزهر يزواج بين العلوم الدينية وغيرها من العلوم العملية . ولم يقل أحد بأن القناعة بالعلوم النظرية مطلوبة ، لأن هذه نظرة قاصرة والله تعالى أعلم .

في اشتراط العلم في الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الإسلام واجبة على كل مسلم ومسلمة بالقول والعمل ، ويدعو الإسلام إلى العلم ، والتفقه ، وإعداد نفر للدعوة إلى الحق والخير والسلام (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لعلهم يحذرون) . ويشترط في الداعي : الإخلاص أولاً ، والقُدوة الصالحة ، والثقافة الواسعة ، والرؤية المستنيرة ، والتسلح بعلوم العصر ، والإلمام بلغة أجنبية ، وحب الموقع والعمل ، والاستعداد للعمل والجهاد ، والنفاذ إلى روح الدين ومغازيه . . ولقد افتتحنا بحمد الله كلية للدعوة في طنطا ، وسنفتح أخرى بالقاهرة ، ونرجو أن نحصل منهما على الداعية الواعية المستنيرة ، والله الموفق .

في معنى الروحية والمادية

معنى الروحية : إدراك المعاني الإنسانية المهذبة الفاضلة ، والمثل بالقيم الدينية الرفيعة ومراعاة تعاليم الكتاب والسنة ، وإيثار ما هو خير وأفضل عند الله ، والخير والحق ، والجمال ، والإيثار ، (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) والإسلام يدعو إلى ذلك لأن فيه عمار الكون ، وسعادة البشر ، ورضاء الله ، وقد أفلح من تركى .

ومعنى المادية : الاتجاه إلى المادة ، والوقوف عندها وحدها : في الجاه ، والمال ، والولد ، والمتع الدنيوية ، والاستغراق في حب الدنيا ، والغفلة عن الآخرة ، وكل ما من شأنه أن يرقى الإنسان . والإسلام وسط : لا يحرم الاستمتاع بالمادة ، ولكن في وسط واعتدال ومن وجه حلال يحلها : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

وإنما يحرم الإسلام المادية الطاغية ، والماديين المغالين ، ويصفهم بأنهم: (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) . فالإسلام يفضل الجانب الروحي ، ويجعل الجانب المادى لخدمته ورقبه ، والله الموفق .

في الثقافة الأصيلة

الثقافة الأصيلة للمجتمعات الإسلامية والعربية ، هي الثقافة الإسلامية ، ووعائها العربي ، وغيرها تخيلية ، ووافدة أو مستوردة . ومن يجد عن الثقافة الأصيلة ينس نفسه وماضيه ، ويقع في حيرة واضطراب .

ولقد حرص الاستعمار وأذناؤه من بعده على زرع أجساد غريبة في جسم العالم الإسلامي والعربي لتظل مرتبطة به ، وتبقى بعيدة عن هدى السماء وعن مصادر ثقافتها الأصيلة . وقد آن الأوان لأن تسترد هذه الثقافة عرشها المسلوب وتنبوأ مكانتها اللاتفة بها في بلادها في عصر العلم والإيمان ، وعلى رأس وزارة التربية والتعليم^(١) رجل فاضل وخير كريم ، أسهم في إنعاش الثقافة الدينية في المدارس ، وزاد في أوقاتها ، وبقى أن يعرف ذلك طريقه إلى الجامعات وسائر أجهزة الدولة ، ليتحقق التكامل والفائدة ، فإن المجتمعات المادية والملحدة شقيت تماماً ، برغم التقدم العلمي ، ولن تسعد إلا بالروحية المهذبة الفاضلة .

(١) يعنى الدكتور مصطفى كمال حلمى الوزير العالم إذ كان يعلق عليه الإمام رحمة الله آمالاً كبيرة في أن تأخذ التربية الإسلامية حظها في عهده وعلى يديه .. وفقه الله لما يحبه ويرضاه .

في الإلحاد

الإلحاد أثر من آثار الاستعمار وأثر للعلمانية ، وأثر للشيوعية التي تنكر وجود الله ، وتهزأ بالأديان ، وتسخر من رجالها حتى يتفلسف الشباب والفوغائية من ربة الدين ، والسير في طريق الحيوانية ، والهبوط إلى مستوى لا يليق بالإنسان . .

ومقاومة الإلحاد يتطلب تصافر الجهود من الدولة بأجهزتها المختلفة ، والعناية بتدريس الدين وإعداد الداعية الواعي البصير القادر ، والدعوة الصادقة من كل إنسان مؤمن لنفسه وآله ومحيطه إلى خير العمل ، وإلى سبيل الله السوي ، وتبني الكتاب الصالح والدعوة الطيبة والكلمة الحسنة ، والقدوة الخيرة .

وأيضاً إلى مقاومة الفساد ، وتقليم أظفاره ، وإبعاد أصحابه عن مجال التوجيه ، وتحديد إقامة الكلمة الشريفة ، وتطبيق شرع الله ، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

في مباركة الله مجالس العلم

يبارك الإسلام مجالس العلم - وتحفها الملائكة .، ويفخر الله لحاضرها ، ولقد كانت للندوات الدينية ومجالس العلم حظ كثير بين الخلفاء والعلماء والملوك المسلمين الصالحين العاملين ، والصالون إذا تحول إلى منتدى ديني أجدى بكثير من استعماله فيما لا فائدة فيه ، أو ما يجلب سخط الله وغضبه وجذا لو تحولت كل الصالونات والنوادي والساحات والملاعب والمساجد إلى ندوات دينية وعلمية لتزدهر الحركة العلمية والدينية ويعم نفعها بإذن الله .

الأزهر حصن للثقافة الإسلامية

الأزهر حصن للثقافة الإسلامية والعربية أكثر من ألف عام . وبذلك حفظ للمسلمين تراثهم والتقت فيه العروبة والإسلام في محيط الثقافة التي أفاضها القرآن ، وصارت وحدة قوية إلى أن أوقع بينها المستعمر والعدو ووفدت إلى الأزهر وفود من شتى أنحاء الأرض ، تنهل من معينه ، وتعود بالخير لبلادها ، وبالأزهر كليات مختلفة تحت اسم (كلية البنات الإسلامية) للعناية بالمسلمة واستقام أمر هذه الكليات ، ويفد إليها كثيرات من البلاد الإسلامية ، وأقبل عليها المسلمات بشكل

رائع لعدم الاختلاط فيها ، واستقبلت الدولة والبلاد العربية خرمحاتها بقبول حسن ، وقد توسع الأزهر في إنشاء المعاهد الثانوية والإعدادية والابتدائية للنبات ، لتكون روافد طبيعية لهذه الكليات والتي أعددت لها لتكون فرعاً لجامعة الأزهر ، ولتتسع للأعداد اللازمة لإعداد الفتيات المسلمات إعداداً لائقاً بين ، ويتناسب دورهن في الحياة بإذن الله . . والله الموفق والمعين .

في حكم الإسلام في نزول الإنسان على القمر

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار) .
من هذا نعلم أن القمر سخره الله سبحانه وتعالى لبي آدم وفي ذلك حث لهم على أن يصلوا إلى السيطرة عليه باكتشاف القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى لتسخيره ، ليطوعه لهم ليستفيدوا منه ، وليزدادوا إيماناً بالله سبحانه وتعالى مبدع الكون وبارئه على أحسن نظام وأبدع تكوين .
فإذا وصل الإنسان إلى القمر ونزل على سطحه وسار فوقه وانتفع بما خلقه الله فيه ، فإنه بذلك يكون قد انتفع بما سخره الله له .

ومن الواجب حينئذ على الإنسان الذي يصل إلى القمر أن يشكر الله على هذه النعمة التي أنعم بها عليه ، وهي أن قدر على الوصول إلى القمر ، وشكر هذه النعمة باستعمال هذا الاكتشاف الجديد في كل ما يعود على البشرية بالخير والسعادة ، لا فيما يدمر العمران ، ويقضي على بني الإنسان ، أو فيما يعود على العالم بالشر من الاستعلاء والاستعباد للإفساد ، فإن ذلك كفر بنعمة الله وابتغاء للإفساد في الأرض ، والله لا يحب المفسدين .

ولقد حرص الإسلام على نفي ما كان في الأعصر القديمة من أن الكواكب آلهة ، أو أنها مقدسة ، وبين أنها كغيرها من المخلوقات من نبات وحيوان وجبال وبحار من مخلوقات الله ، فقال سبحانه وتعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) .

الكواكب من مخلوقات الله سبحانه وتعالى مثلها كمثل بقية المخلوقات ، وعلى الإنسان أن يبذل كل ما يستطيع في سبيل استكمال المعرفة بها .

ما حكم الإسلام في إرسال الأقمار الصناعية إلى القمر ؟

إنه ليسرنا أن نجيب عن هذا السؤال الذى يدور فى أذهان كثير من الناس الآن ، وموقف الإسلام من هذا الموضوع إنما هو موقفه من العلم ، ولقد حث الإسلام المسلمين على التزود من العلم فى صور وأساليب بلغت حد الروعة ، والقرآن الكريم هو الذى بين أن العلماء يشهدون « التوحيد » مع الله ومع الملائكة ، وشهادة التوحيد هى قمة الدين الإسلامى ، والقرآن الكريم هو الذى طلب إلى الرسول ﷺ أن يدعو الله قائلاً : (ربى زدنى علماً) .

والعلم الذى يقصده الإسلام هو العلم الروحى والعلم المادى ، إنه العلم بالكون وما وراء الكون ، إنه العلم بالمادة وما وراء المادة .

ولقد أنبأنا الله سبحانه وتعالى : بأنه سخر لنا الأرض والسماء ، وما بين الأرض والسماء ، لقد سخر لنا سبحانه وتعالى البحار والأنهار والجبال ، وسخر لنا الشمس والقمر والكواكب ، ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يدفعنا إلى استلاك ذلك كله والسيطرة عليه بالعلم والمعرفة والتجارب والملاحظات .

فإرسال الأقمار الصناعية إلى القمر إنما هدفها زيادة المعرفة بسنن الله الكونية ، وفى ذلك زيادة للمعرفة بقدرة الله وعظمته .

ويجب على الأقطار الإسلامية أن تسهم فى غزو الفضاء ، وفى إرسال الأقمار الصناعية إلى القمر ، وإلى غير ذلك من الكواكب ، ويجب عليها أن لا تقف مكتوفة الأيدي متفرجة أمام هذا التقدم العظيم فى العلم ، وإنما يجب عليها أن تأخذ فى طريق معرفته وتحقيق المساهمة فيه وتطويره ، فإن كل ذلك إنما هو تحقيق لهدف القرآن الكريم الذى يقول : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات) وتحقيق لهدف السنة النبوية الشريفة التى تقول : « من سلك طريقاً يتبعى فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة » .

والاكتشافات الحديثة من أوضح الأدلة على وجود الله ، لأن هذه الاكتشافات تُظهر إبداعاً وتنسيقاً وعناية وحكمة لا تدع مجالاً للمصادفة أو الاضغاض وإن انتفى المصادفة ثبت وجود الله .

يتمتع بعض الناس عن التداوى والذهاب إلى الأطباء قائلين إن الشافي هو الله فما رأى الدين في ذلك ؟

إن العقيدة الإسلامية هي أن الله سبحانه وتعالى هو الشافي ، يقول الله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم : (وإذا مرضت فهو يشفين) وذلك لا خلاف فيه . بيد أن الشفاء لا يختلف عن غيره من الأمور التي جعل الله لها الأسباب وأمرنا باتخاذها ، وأن نواميس العالم التي هي من صنع الله أن لكل مسبب سبباً ، والشفاء إذن مسبب له سبب ، ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى : « تداووا عباد الله ، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواءً ، غير داء واحد . . . قيل يارسول الله : وما هو ؟ قال الهمم » .

وروى الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ قال : « لكل داء دواء ، فإذا أصاب الدواء الداء ، برأ بإذن الله » .
ويؤكد رسول الله ﷺ قانون الأسباب والمسببات فيقول في صراحة : « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ، إلا السام وهو الموت » .

في الكتب الجنسية

لقد حث الدين على العلم ورغب في التزود منه ، ودعا إلى كل ما يوسع المدارك ويزيد في ثقافة الإنسان وينفعه في دينه ودنياه .

وهذا كله إنما ينطبق على العلم النافع والثقافة المفيدة .

والكتب الجنسية كلها إثارة وتشجيع على ارتكاب الفاحشة ، إن لم يكن ذلك بصريح عباراتها ففي شرحها للعملية الجنسية وما يترتب عليها مما يدفع القارئ إلى تقليد ما يقرأ أو تطبيقه . ولاشك أن قراءة مثل هذه المعلومات من أخطر ما يكون على سلوك الشباب والفتيات ، لإثارها الغرائز ، وإشاعتها للفاحشة .

وما انتشرت الفوضى والإباحية إلا بعد أن انتشر هذا النوع من الثقافة بين شبابنا وفتياتنا . فواجب المربين التحذير منها ، والحث على الابتعاد عنها لتضمن شباباً سليماً من الانحرافات . وإن في كثير من الكتب النافعة التي تحث على الفضيلة وتشجع على البطولة والوطنية أو تزيد

المعلومات والمدارك ، إن في كل ذلك لغتً عن هذا الفساد .